ملامح القصّة في العصر الجاهلي وماهيتها (دراسة فنية في بعض نماذجها)

د. أمين نظري تريزي
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، ايران
أ.م.د. نجلاء حميد مجيد
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

The story in Pre-Islamic era and its identification (technical analysis in some of samples)

Amin nazari terizi
Ph.D of Arabic Language and Literature,Isfahan Uni
Nazariamin2015@yahoo.com
09137835951
Najlaa hameed majeed
Ph.D of Arabic Language and Literature
Dr.najlaahameed@gmail.com

Abstract:

Literature addresses the human feelings. Its goal is stimulation of feelings ،and it gives to literary the ability to express other topics that other methods are unable to express them. Story is the art of the literary arts and it is the oldest kind of literary and it is explained with events ،characters ، situations ،and details. one of its kinds is short story which is more constrained than story ،and it concentrates more on one issue and one character. Some stories have been remained about the Pre-Islamic Arabs. Historians and critics were categorized into two groups in related to this matter. One of these 2groups has accepted the existence of the story in Pre-Islamic era. The other group rejected it. This essay tries to survey the existence of the story in Pre-Islamic era with the use of the descriptive-analytic method and this essay is in agreement with this view. The results refer to this issue that elements of fiction exist in the story of the Pre-Islamic era, for example event, point of view, plot, character, place and time. We can call it the short story, although these factors were designed in the primary and simple shape.

Key words: Literature of Pre-Islamic, Pre-Islamic era, short story, the stories of Pre-Islamic era, technical analysis.

الملخص

الأدب يخاطب الوجدان البشري ويستهدف إثارة الإحساسات والعواطف، ويستطيع الأديب من خلاله أن يعبّر عمّا لايمكن التعبير عنه بأسلوب آخر. والقصّة فن من فنون الأدب النثري بل من أقدم الأنواع الأدبية وتتسم بالحوادث والشخصيات والملابسات والجزئيات، ومن أنواعها القصة القصيرة التي هي أضيق مجالاً بالنسبة للقصة وأقلّ مادّة، وترتكز على موضوع واحد أو على شخصية واحدة. روي عدد من الحكايات من العرب الجاهليين وانقسم الدارسون والمورخون إزاءها إلى المويدين لها باعتبارها قصصاً ورافضين لها.

من هذا المنطلق يحاول هذا المقال من خلال المنهج التوصيفي – التحليلي أن يدرس وجود القصة في العصر الجاهلي ويقف بجانب المؤيدين لها. والنتائج تشير إلى أن العناصر القصصية موجودة في حكايات العصر الجاهلي، منها؛ الحادثة، والعرض القصصي، والحبكة ، والشخصية، والزمان، والمكان، بحيث يمكن اعتبارها قصصاً قصيرة، لكن هذه العناصر برزت بصورة بسيطة وبدائية.

الكلمات الرئيسية: الأدب الجاهلي، العصر الجاهلي، القصة القصيرة، قصص العصر الجاهلي، دراسة فنية.

1.المقدمة

الأدب فن من الفنون الجميلة، بل هو سيد الفنون، وهو في معناه العام يشمل كلّ ما كتب عن التجارب الإنسانية، والنص الأدبي هو الذي يتناول الأفكار الممزوجة بالعاطفة والخيال في أسلوب جميل.

ينقسم الأدب العربي كسائر الآداب إلى قسمين رئيسين؛ الشعر والنثر. النثر في الغالب هو النصّ المكتوب الذي يكتبه الأديب دون الإتكاء على الوزن والقافية الموجودين في الشعر، لكن أحياناً يوجد فيه السجع والإزدواج. هناك ضروب مختلفة من النثر كالخطابة، والمقالة، والرواية، والخاطرة، والمسرحية، والقصة، والأقصوصة.

نظرة عامة إلى الأدب العربي في فترة ما قبل الإسلام، تكشف لنا أنّه رغم أنّ الشعر كان في قمة الأدب و كان أكثر قيمة من الأجناس الأدبية الأخرى في تلك الفترة، لكن لا ينبغي أن يفترض بأنّه كان النوع الفريد في الأنواع الأدبية والثقافية آنذاك، بل كان بجانبه أنواع أدبية أخرى مثل الخطابة والقصة، كما يقول بروكلمان: لم يكن الشعر وحده هو الذي تهفو له النفوس وتسمو إليه الأعين عند العرب الجاهلية، بل كان القاصّ يقوم أيضاً مقاماً هامّاً إلى جانب الشاعر في سمر الليل وبين مضارب الخيام لقبائل البدو المستقلة وفي مجالس أهل القرى والحضر .(بروكلمان، لاتا:128) إذن للقصة مكانة مرموقة في الأدب الجاهلي وهي من أركانه التي يستند إليها أدب هذه الفترة الزمنية. إنّ القصص الجاهلية تبرز لنا شيئاً من العلاقات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الفرس والروم، كما أنّها تشير إلى أنواع من النزاعات التي وقعت بين قبائل العرب أنفسها. هذه القصص في أسلوبها الفنّي توضح بعض عادات العرب كالحرب والسلم ومن خلالها تشير إلى فضائلهم كالوفاء بالعهد ورعاية حقّ الجار والصداقة في العمل وما إلى ذلك من العادات الجميلة.

يحاول هذا المقال في إطار المنهج الوصفي – التحليلي الإجابة عن هذه الأسئلة وما يشابهها:

1. كيف ظهرت العناصر القصصية في القصص الجاهلية؟
2. هل يمكن اعتبار الحكايات الجاهلية قصة؟ وعلى أيّ أساس؟

فللإجابة عن هذه الأسئلة، درسنا آراء النقاد من المعارضين والموافقين ومن ثمّ بادرنا بتحليل قصتين من العصر الجاهلي (يوم الصفقة ويوم عين أباغ) على أساس العناصر القصة القصيرة؛ وهذه العناصر تشمل: العنوان، والحادثة أو الموضوع، والحبكة، والشخصية، والعرض القصصي، والبيئة.

1-1.سابقية البحث

هناك كتب عديدة تتناول العصر الجاهلي وقضاياه المختلفة، وقليل منها تتناول القصص الجاهلية، على سبيل المثال في كتب تواريخ الأدب كحنا الفاخوري، وكارل بروكلمان ومحمد زغلول سلام نرى أنّهم أشاروا اشارة قصيرة إلى وجود القصة في العصر الجاهلي. وفي كتب أخرى ككتاب الحياة الأدبية في العصر الجاهلي لعبدالمنعم الخفاجي يوجد عدد من القصص الجاهلية، لكن هناك كتاب باسم «أيام العرب» لجاد المولى وزملاؤه، وهذا الكتاب مكتظ بالقصص الجاهلية الفنية.

هناك عدّة مقالات في مجال القصة القصيرة، منها؛ مقال "نشأة القصة القصيرة وميزاتها في مصر" لغلامرضا گلچين راد وزملائه، هذا المقال يشرح أنّ القصة القصيرة من أقرب الفنون إلى واقع الحياة، كما يشير إلى أنّ القصة كانت ولاتزال على مرّ العصور ولكن القصة القصيرة بمعناها الجديد أُسّست في القرن العشرين ومن ثمّ يدرس القصّة في مصر ويبين ميزاتها. و مقال آخر بعنوان «مسح القصّة العربية في مختلف العصور» بقلم عبد الحميد إبراهيم محمد الذي يشرح القصة وظهورها في مختلف العصور العربية ولا تركّز على القصة في عصر خاص. وثمّة مقال "القصّة في الأدب العربي" للدكتور خوان اويان، هذا المقال يوضح ظاهرة القصة في الأدب الجاهلي وفي الإسلام ويعتقد أنّ القصة الجاهلية كتبت في العصر العباسي ولأجل هذا التأخير تغيرت وتحرفت أثناء هذه الفترة الطويلة كما يشير إلى بعض موضوعات القصة الجاهلية. وفي مقال «تاريخ القصّة في الأدب العربي القديم» يعتقد محمود تيمور أنّ قصة اليوم بألوانها الشتّى من وراثات عربية أصيلة، فأعمالنا القصصية العصرية تحمل

لقاحها من أدبنا العربي العريق وهو يستشكل على أدباء العرب المعاصرين الذين لا يعتبرون الميراث القصصي الحاشد الممدود على مدار التاريخ.

هناك دراسات عدّة للقصة بصورة عامة وللقصة الجاهلية بصورة خاصّة، لكن لم يجد الكاتب رسالة أو دراسة مستقلة قد درست ماهية القصة في العصر الجاهلي في جانب دراستها الفنية، بل الكتب والدراسات أحياناً تشير إشارة إلى وجود أو عدم وجود القصة في العصر الجاهلي، دون التركيز على ذكر العناصر الفنية أو تحليلها تطبيقياً، إلّا أنّ هناك كتاب باسم "القصّة العربية فى العصر الجاهلى" لعلي عبدالحليم محمود وهو يشير إلى أنّ القصّة فى العصر الجاهلى جنس أدبى ممتاز ويحاول أن يأتى بالتحليل، لكن تحليلها جزئي ولا يتجاوز الإشارة إلى عناصرها على الإطلاق ويعتقد أنّ القصّة الجاهلية يحتاج إلى التحليل الفنّى ويتمنى أن يكتب عن هذا الموضوع في المستقبل. من هذا المنطلق يحاول هذا المقال دراسة القصة الجاهلية معتمداً على عناصر القصّة القصيرة وتطبيق هذه العناصر عليها، لكي يحدّد مكانة القصّة في الأدب العربي القديم ويخالف من جرّاءها الذين ينكرون وجود أي ضرب من القصة في التراث الأدبي القديم خاصّة في العصر الجاهلي. من خلال الدراسات التي أجريت على القصّة في العصر الجاهلي لم نجد مقالة مستقلة تحلل القصة الجاهلية تحليلاً فنّياً جامعاً شاملاً، إذن يبدو أنّ هذا المقال جديد وقيّم بسبب نظرته الجديدة على التراث العربى القديم ودراسته دراسة فنية وعلى أساس المعايير الجديدة فى القصّة القصيرة.

2.القصة وأنواعها

2-1.القصة القصيرة وعناصرها

القصة لون من ألوان الأدب بل من أقدم الأنواع الأدبية وإن نقُل إنّه أقدم من الشعر فلا نغلو فيه. والقصة في التراث الأدبي العربي سميت بأسماء مختلفة منها الحكاية، والخبر، والحديث، والسمر، والخرافة. (عبدالحليم محمود، 1975م: 11) ومن المعروف أنّ «القصة تروي خبراً ولكن لا يمكن أن نعتبر كلّ خبر أو مجموعة من الأخبار قصة، فلأجل أن يصبح الخبر قصة يجب أن تتوفر فيه خصائص معينة.» (الرشدي، 1959م: 15) فالقصة «هي الآثار التي تؤكد على الحوادث الخارقة للعادة أكثر من تربية الشخصيات وتطورها.» (ميرصادقي، 1376ش: 44)

القصة القصيرة أو الأقصوصة كما يسمّيها بعض الأدباء والنّقاد، نوع من أنواع القصة ولكن تختلف عنها في الحجم والمادّة وفي العصور الأخيرة احتلت مكانة مرموقة في الأدب في كلّ أرجاء المعمورة. هناك تعاريف عديدة للقصة القصيرة نشير إلى عدد منها فيما يلي: «الأقصوصة تدور على محور واحد في خطّ سير واحد ولا تشمل من حياة أشخاصها إلّا فترة محدودة »(قطب، 2003م: 94) ويعرّف عبدالقادر القط القصة القصيرة بأنّها «نوع من النثر الفني القصصي أو الحكائي الذي يقرأ بشكل مناسب في جلسة واحدة وأمّا من حيث الطول فإن هذا النوع الأدبي يقع فيما بين القصة القصيرة جداً التي لايقلّ كلماتها من 200 كلمة وبين النوفليتة أو القصة القصيرة الطويلة التي يصل عدد كلماتها إلى 15 ألف كلمة».(القط،1971م: 115) . وأنّ الأقصوصة «أصغر حجماً من القصة، وغالباً ما تتحقّق فيها العناصر الثلاث: الزمان والمكان والموضوع. وقد تتألّف من عدّة صفحات، وتتناول حادثة واحدة، أو شخصية واحدة أو موقفاً واحداً.(بطرس، 2005م: 158)

هناك تعاريف كثيرة للقصة القصيرة التي أشرنا إلى عدد منها ولكن يبدو أنّ تعريف نجيب محفوظ أكمل وأدلّ إذ يقول: «كما يبدو من مصطلح القصة القصيرة، إنها قصة أولاً وقصيرة ثانياً. فهي قصة لأنها تشمل جميع خصائص القصة من الحبكة، والسرد، والحوار، والزمان، والمكان و ...وهي قصيرة لأنها تتميز بهذه الخصيصة عن الفنون القصصية الأخرى. يشمل هذا القصر جميع جوانب القصة، فهو يحدد القصة في استخدام عدد الشخصيات والحدث والزمن والمكان و...حتى المضمون والعنوان وعددالكلمات والحجم».(محفوظ،1982م :320) لاحظنا في التعاريف المذكورة ومنها تعريف نجيب محفوظ للقصة القصيرة، أنّ جميع الأدباء والنقاد أكدّوا على عدّة نقاط بارزة في آرائهم وهي 1.لزوم تمتع القصّة بالعناصر القصصية 2. قصر حجمها 3.تركيزها على موضوع واحد.

النقّاد يعتبرون للقصّة القصيرة عدّة عناصر وقد تختلف هذه العناصر من وجهة نظر ناقد إلى آخر، لأنّه لايمكن تحديد عناصر فن واحد تحديداً قطعياً بسبب تعامل الأجزاء المختلفة مع البعض وتشابكها في بنيته، كما يؤيد هذا الرأي عمر عبيد إذ يقول: الخلاف حول الصورة الفنية خلاف أبدي حتى بين أبناء المدرسة الأدبية الواحدة، فضلاً عن أنه من الصعب، بل يكاد يكون من المستحيل تحديد أبعاد صورة أدبية واحدة لفن من فنون الأدب» (http://www.almeshkat)

هناک آراء مختلفة حول تحديد عناصر القصة القصيرة ومنها أنّ القصة القصيرة تقوم على ثلاثة عناصر أساسية وهي الموقف، والحادثة، والتنوير. فكلّ قصّة قصيرة غالباً ما تصوّر حدثاً له تأثير كلّي وبداية ووسط ونهاية، وينبغي أن يتطّور الحدث في القصّة تطوّراً ذا معنى مصوّراً للشخصية. (زغلول سلام ، لاتا: 58) و أنّ هذه العناصر تشمل الحادثة، والسرد، والبناء، والشخصية، والزمان، والمكان، والفكرة.(بطرس، 2005م: 155-158). ويحدّد سيروس شميسا عناصر القصة في التجربة، والصراع، والحادثة، والوحدة الفنية، والعرض القصصي، والشخصية، والزمان، والمكان.(شميسا، 1381ش: 177-182)

إذا نُلقي نظرة متأنية في هذه الأقوال، ينكشف لنا أن جميع الأدباء والنقّاد متّفقون على عدة عناصر فنية للقصة، وهي: الحادثة، والعرض القصصي، والحبكة، والشخصية، والزمان، والمكان، ونحاول أن ندرس هذه العناصر في القصص المختارة.

2-2.القصة في العصر الجاهلي

رغم أنّه لا توجد أعمال قصصية مكتوبة من العصر الجاهلي، لكن يستنبط من أقوال المؤرخين منهم شوقي ضيف وحنا الفاخوري أنّ العرب الجاهليين وخاصّة الذين كانوا يهاجرون ويرحلون من بلد إلى بلد آخر، كانوا يمتلكون أوقات فراغ واسعة وكانوا يقضونها في الأسمار التي كانت تقام في الصحراوات ويحكون القصص في هذه الأسمار، إذن «أخذت تبدأ حكاية القصص عند العرب كسائر الأقوام والملل مع أسمار البدو وقصص حروب القبائل في العصر الجاهلي و بطولاته.»(أحمد مكي ،1987م : 562).

واحتلّت القصص قسطاً كبيراً من الأدب الجاهلي وتمّ تدوين هذه القصص متزامناً مع تدوين الشعر، لأنّ القسم الأعظم من الأدب الجاهلي بما فيه الشعر، والقصة، والخطابة، كان أدباً شفوياً انتقل من جيل إلى جيل حتّى أصبح مكتوباً في العصور التالية.

النظرة التفصيلية إلى الشعر الجاهلي ومن ثمّ المقارنة بينها وبين هذه القصص تشير إلى وجود الصلة الوثيقة بينهما من جهة بساطة المعاني والاستمداد من البيئة والحياة البدوية في الموضوعات. يقول عبدالمنعم الخفاجي عن القصّة الجاهلية «معانيهم مستمدة من بيئتهم وحياتهم ونرى عدم التعمّق في المعاني أو تعقيدها أو التركيب والمزج بينها» (خفاجي، 1992م :182،107) كما يؤيد بلاشير هذا الراي ويرى أنّ القصة الجاهلية خالية في الأغلب من الأحداث الخطيرة والوقائع الهامّة ويقول: إنّ الحكاية في أكثر نصوصنا قدماً جافّة، مقصورة على حادثة أو حادثتين. (بلاشير، 1998م: 886).

هناک آراء عديدة حول القصّة الجاهلية، فبعض النقّاد والأدباء يؤيدون وجودها في العصر الجاهلي، وبعض آخر يرفضون، ويعتقدون أنّه لا وجود للقصّة في العصر الجاهلي وإنّ النصّ الذي يعتبره جماعة من المؤرخين القصّة، فليس إلّا الأخبار المروية من هذا العصر، فلا يمكن أن نسمّيه بالقصة. انقسم دارسوا الأدب إلى فريقين: فريق لا يعترف بوجود القصّة عند العرب الجاهلي، وفريق آخر يعترف بوجودها على نطاق واسع، بالإيجاز نشير إلى هذه الآراء فيما يلي.

أستاذ زيات يرى قصور العرب في القصص ويعتقد أنّ «هذا القصور استمرّ حتى وضع ابن المقفع الفارسي مناهج النثر، وفكر في تدوين شئ من القصص، فكان ما ترجمه هو وأمثاله من نحو " كليلة ودمنة" حذياً للعرب ونموذجاً لهم في وضع ما وضعوه منها». (الجرهمي ،1374ش: 98) كما يعتقد توفيق الحكيم أنّ «الأدب العربي في فترة السابقة للإسلام خلق فني ناقص التكوين، فإذا تأملت الآداب القديمة، وجدت أنّه قد عاصرتها فنون كبرى، فالمعابد العظيمة والتماثيل الرائعة في مصر القديمة، والهند، والإغريق، خليق أن يعاصرها أدب عظيم مثل الملاحم والتمثيل والقصص، ولكن الأدب العربي نشأ في بيئة قاحلة فكان أقصى ما عاصر لغة امرئ القيس، أو زهير تلك المسوخ والتهاويل لآلهة من الحجر أطلقوا عليها الهبل واللات والعزى.» (تيمور، 1998م:

34) يبدو أنّ الجماعة التي ترفض وجود القصة قليلة، لكن هناك جماعة تعتقد أنّ القصّة كانت جزءاً من الأدب العربي في العصر الجاهلي ولا يمكن تفكيكها عنه. كما يقول ناصر عبدالرزاق موافي في كتابه القصّة العربية عصر الإبداع «كان للجاهليين أسمارهم أو قصصهم بالمعنى العام للقصص التي تتمّ ليلاً غالباً وكانت لهم أيامهم التي استندت إلى وقائع تاريخية يدخلها الخيال قليلاً أو كثيراً وكانت لهم خرافاتهم الموروثة عن أسلافهم كأسماء القبائل العربية مثل: أسد، كلب وغيرها.» (الموافي، 1997م: 27) ويرى زغلول سلام أنّ «المزاج القصصي غير قاصر على شعب دون آخر من بني الإنسان، فالقصّة تراث إنساني شائع في كلّ الأمم قديماً وحديثاً وقد عرف العرب القصّة منذ أقدم العصور وخلّفوا لنا آثاراً باقية، تدلّنا على ما كان لديهم من القصص والأساطير.» (زغلول سلام، لاتا: 63) وحنا الفاخوري يعترف بوجود القصة الجاهلية «كان للقصص باب واسع في أدب العرب الأقدمين، كانت قصصهم أسماراً تدور حول أيام العرب، والقصد منها الوقائع التي وقعت في الجاهلية بين القبائل؛ كيوم داحس والغبراء، أو بين العرب والأمم الأخرى كيوم ذي قار، الذي كان بين شيبان والفرس وكان النصر فيه للعرب.» (الفاخوري، 1377ش: 204)

يؤيد ترجاني زاده هذا الراي ويعتقد أنّه «كانت للقصة في أدب العرب القديم أهمية كبيرة وهي حكاية عن الوقائع الحربية بين القبائل أو بين العرب والأمم الأخرى أو القصص المنقولة من الأمم المجاورة أو قصة الحبّ وغيره.» (ترجاني زاده، 1370ش: 59)

في الحقيقة إنّ النظرة التاريخية الشاملة توضّح لنا أنّ القصة كانت شائعة في العصر الجاهلي، ولكنها تختلف في البناء الفنّي والمضمون عمّا هي شائعة في عصرنا الراهن، بل كانت تناسب الظروف التي تحكم العصر الجاهلي، إذن من الصعب أن نقبل خلوّ الأدب العربي الجاهلي من النثر وخاصة من القصة، لأنّ القصة كانت ترافق تاريخ الشعوب والقبائل من أقدم العصور بصورة ساذجة وبسيطة كانت أم في صورتها النضجة المتكاملة، فلا يمكن لأي شعب من الشعوب أن يعيش دون القصة، هذا ومن جهة أخرى نشاهد أنّ العرب الجاهليين كانوا قليلة الأسفار، كما أشار غنيمي هلال «قد قلّ تعرضهم للأسفار البعيدة والأخطار الشديدة وحرمتهم طبيعة أرضهم وبساطة دينهم وضيق خيالهم»(غنيمي هلال، 1962م: 68) إذن كان عندهم أوقات فراغ كثيرة فاستخدموا القصص لأجل التسلية. وقال شوقي ضيف من المؤكد أنّهم كانوا يشغفون بالقصص شغفاً شديداً، و ساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء، فكانوا حين يرخي الليل سدوله يجتمعون للسمر، وما يبدأ أحدهم في مضرب من مضارب خيامهم بقوله: كان وكان، حتى يرهف الجميع أسماعهم إليه وقد يشترك بعضهم معه في الحديث شباب الحي، وشيوخه، ونساؤه، و فتياته المخدرات وراء الأخبية كلّ هؤلاء يتابعون الحديث في الشوق ولهفة.(ضيف، 1119م: 399) والإنسان العربي في العصر الجاهلي أمام الصحراء ولياليها يشعر بالرهبة والجلال، يحيط به هزيع الرياح، وتتطلع إليه نجوم كأنّها عيون ذات شرر وتتساقط عليه شهب كالقصر، فماذا يفعل العربي أمام هذه المظاهر الرهيبة؟ لقد جسدها وأضفى عليها الكثير من الأساطير والقصص.(محمد، 1967م :42). إذن القصة رافقت العرب في العصر الجاهلي وعبّرت عن حاجاتهم وعلاقاتهم مع الشعوب الأخرى وحكت عن الظروف التي كانوا يعيشونها. فيزول الشك عن عدم وجود القصّة في العصر الجاهلي، لكن ليس من المعقول أن نتوقع من القصّة الجاهلية أن تكون كالقصة الحديثة في العصر المعاصر.

من خلال القصص المتبقية من العصر الجاهلي نشاهد أنّ هناك موضوعات متعددة تتحدث القصة الجاهلية عنها، من هذه الموضوعات النهب في الليالي، واختطاف النساء، وهجرة القبائل، وقصة الأساطير، والحرب، وما إلى ذلك، كما تعبّر عن العلاقات السياسية بين إيران والعرب. فكانت القصة هي الأداة الملائمة للتعبير عن المسايل السياسية كما يقول إبراهيم الأطرش «إنّ القصّة من بين الفنون جميعاً، هي الأكثر قدرة على التعبير عن التحوّلات والمتغيرات الاجتماعية والسياسية والفكرية في مجتمع ما، وهذا ليس بسبب طبيعتها التحليلية فحسب، بل وبسبب طاقاتها التعبيرية غير المحدودة، وقدرتها على التحرّك بحرية واسعة وشاملة. (الأطرش ، 1982م: 154،155).

2-3.القصص الجاهلية حسب المضمون والبناء الفني

القصة الجاهلية من حيث المضمون على أنواع، منها: «قصة ترحيل القبائل، وقصة الأمراء، وقصة الأساطير، وقصة التسلية، وقصة أيام العرب، وقصة الشخصيات البارزة والمرموقة، وقصص الخرافية وما إلى ذلك.»(بلاشير، 1998م :892،893 ؛ضيف، 1119م: 400؛ عبدالحليم محمود ، 1975م :11) ومن حيث البناء الفنّي على نوعين؛ القصّة الفنية والقصّة غير فنية. قسم من القصص الجاهلية خال من العناصر الفنية كالعرض القصصي، والحبكه، والشخصيات، والزمان، والمكان، فلا يمكن اعتبارها قصة بل هي مجرد اخبار، وقسم آخر وهو الذي يتمتّع بملامح من العناصر الفنية حتّى يقترب من القصّة القصيرة. فلا يمكن اعتبار القصّة الجاهلية في جميع أنواعها قصّة فنية كما لا يمكن اعتبارها قصة غير فنية.

وصل إلينا أكثر القصص الجاهلية بصورة متناثرة ومتفرقة في كتب الأدب ككتاب العقد الفريد والأغاني والمثل السائر والحياة الأدبية في العصر الجاهلي وما إلى ذلك. قد روي صاحب كشف الظنون «أنّ أبا عبيدة قد ألّف في أيام العرب كتاباً صغيراً حوي خمسة وسبعين يوما، و آخر كبيراً جمع فيه ألفا ومئتي يوم، وأنّ أبا الفرج الإصفهاني ألّف كتاباً جمع فيه ألفاً وسبعمئة يوم» (حاجي خليفه ، لاتا: 129) لكن لم يصل إلينا هذه الكتب ولم نجد كتاباً يختص بالقصص الجاهلية إلّا كتاب أيام العرب الذي ألّفه جاد المولى وزملاؤه. هذا الكتاب يعتبر مصدراً خصباً من مصادر التاريخ التي تشتمل علي الوقائع والأحداث في العصر الجاهلي، إضافة على هذا إنّ القصص الموجودة في هذا الكتاب من حيث المستوى الفني أرقى من القصص الموجودة في الكتب الأخرى. من هذا المنطلق اخترنا هذا الكتاب وقسّمنا قصصها على نوعين؛ النوع الأوّل القصص التي تتحدث عن الحروب بين العرب والفرس وتشتمل على قصتين؛ يوم الصفقة ويوم ذي قار والنوع الثاني القصص التي تتحدث عن الحروب بين قبائل العرب بعضهم البعض، وهذا القسم احتلّ مكانة واسعة من القصص ويصل عددها إلى احدى وستين قصة. فاخترنا قصة "يوم الصفقة" من القسم الأول و"يوم عين أباغ" من القسم الثاني كنموذجين من القصة الجاهلية وقمنا بدراستهما الفنية لنكشف عن مستوى تواجد العناصر الفنية فيهما خصوصاً وفي القصة الجاهلية عموماً.

2-3-1-.ملخص القصص

2-3-1-1.قصة "يوم الصفقة"

بعث كسري أنوشروان[1] إلى عامله[2]باليمن بعير تحمل أشجاراً، حتى تدفع إلى النعمان بن المنذر بالحيرة، والنعمان تدفعها إلى هوذة، وتجعل لهم جعالة[3]فتسير بها إلى أن تبلغ اليمن، وتسلّم إلى عمّال كسرى باليمن. حينما وصلت البعير إلى اليمامة طلب هوذة من الأساورة[4]الذين يرافقونه، أن يعطوه الذي يريدونه لبني تميم[5]، حتى يساعدهم ويوصلهم إلى المأمن. حينما خرج هوذة

---

[1].هو كسري أنو شروان بن قباذ، من أشهر ملوك الفرس و أعظهم ذكرا.

[2].هو وهرز القائد الشجاع الذي أرسله كسري مع سيف بن ذي يزن لتطهير اليمن من الجيش

[3].الجعالة (مثلثة): ما يجعل علي العمل

[4].أساورة: جمع أسوار، و هو القائد من الفرس

[5]. هذه رواية العقد الفريد، و في طبري: إنّ الذي قطع السلسلة هو رجل من بني تميم اسمه عبيد بن وهب أقدم علي سلسلة الباب فقطعها و خرج فقال:

تذكرت هندا لات حين تذكر	تذكرتها و دونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها	مصاب الخريف بين زور و منور
ألا هل أتي قومي علي النأي أنني	حميت ذماري يوم باب المش

والأساورة والعير معهم من هجر[6]، وصل خبر ما هو يقصده هوذة إلى بني تميم، فهاجموا عليهم وقتلوا عامّة الأساورة وسلبوهم، وأسروا هوذة. اشترى هوذة نفسه بثلاثمئة بعير من بني تميم. ومن ثمّ حينما رجع إلى كسرى أنوشروان قصّ عليه هذه الحكاية. تعامل أنوشروان مع هوذة معاملة طيبة واحترمه وأعطاه هدايا ثمينة، ثمّ تحدثّ عن كيفية قتل الأساورة من جانب بني تميم، لكي ينتقم منهم، فأرشده هوذة بأنّ من الأفضل أن يحبس الميرة عنهم سنة، وأن يرسل معه الأساوررة، فعل كسرى ذلك وحبس عنهم الميرة في سنة مجدبة وحينما أتوا بنو تميم، انتقم هوذة والأساورة منهم. وبعد أن قتلوا كثيراً من بني تميم، فهم أحد من بني تميم هذه المغامرة وقال لهم ويلكم! أين عقولكم؟ فوالله ما بعد السّلب إلّا القتل. وحينما شاهد بنو تميم أنّ الأساورة قتلوا كثيراً منهم، ثاروا. (أنظر جادالمولى وآخرون، 1988م: 2)

2-3-1-2.قصة "يوم عين أباغ"

يذهب المنذر بن ماء السماء[7]مع جيشه إلى منطقة تسمى بعين أباغ ويطلب من الحارث أن يعطيه الفدية وإلّا يقع بينهما الحرب، فاقترح الحارث[8] له ويقول إنّا شيخان، فلا تهلك جنودي وجنودك، لكن يخرج رجل من ولدي ورجل من ولدك، من قُتل خرج عوضه آخر، وإذا فني الأولاد، أخرج أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك وتعاهدا على ذلك. حينما يبدأ الصراع فيغدر المنذر ويرسل عبده بدل من ابنه إلى الحرب وكلّما قالا ابني الحارث الذان كانا واقفين على غدر المنذر لأبيهما عن هذا الأمر، لكن لم يقبل الحارث وقال يا بني لا تجزعا عن الموت، لأنّ الشيخ لا يغدر، وبعد قتلهما حينما رأى شمر بن عمرو الحنفي أنّ المنذر سيفوز بالخدعة، احتجّ على المنذر، وطرده المنذر، وذهب إلى الحارث وتحدث له عن الحقيقة، فغضب الحارث غضباً شديداً وأمر بالقتل فقتلوا جنود المنذر كما قتل المنذر. (جادالمولى وزملاؤه، 1988م: 60،61)

3.دراسة العناصر الفنية

3-1. العنوان

العنوان هو أول دوال النص وأحد العناصر الرئيسة في النص الإبداعي، وهو البعد السيميوطيقي المحدد لطبيعة ظاهرة النص الواجب قراءته. ويعتبر أول العتبات[9] للنص الإبداعي، كما قيل عنه رأس النص ومفتاحه الأساسي ونقطة الإرسال الأولى. (بدر يوسف، 2010م: 24) إنّه يمثل عنصراً هاماً من عناصر تشكيل الدلالة في القصة، وجزءاً من أجزاء استراتيجية أي نص أدبي. (فريحات، 2002م: 14) اول ما يلفت الانتباه في القصص الجاهلية أنّها لم يتّسم بأسماء تشير إلى مضامين متنوّعة ونرى بأنّ جميع القصص تحمل عناوين شبيهة إلى حد ما وتدلّ كل هذه العناوين على موضوع واحد وهو موضوع الحرب، إذن تنحصر العناوين عادة في كلمة "يوم" – بمعناها المجازي، الحرب– إضافة إلى الأمكنة التي حدثت فيها الحروب، كـ"يوم الصفقة" و"يوم عين أباغ" وغيرها. فهذه العناوين لاينطوي على دلالات سيميائية أو رمزية كما نرى اليوم في القصة القصيرة الحديثة ويبدو أن ليس لهذا الأمر سبب إلّا كون الأدب القصصي في مرحلة الطفولة وعدم النضج إضافة على تناسق بساطة العناوين مع البيئة والظروف الخاصة للعصر الجاهلي.

---

[6].هجر: اسم لأرض البحرين

[7].هو المنذر الثالث بن امرئ القيس، و ماء السماء أمه؛ و هو أشهر ملوك الحيرة، و أكثرهم غزوا و فتحا، عاصر من ملوك الفرس قباذ و ابنه انوشروان.

[8].الحارث بن جبلة: أشهر ملوك غسان و أعلاهم همة و أبعدهم صوتا، و هو الذي سهل لامرئ القيس طريق الوصول إلي قيصر توفي سنة 556م.

[9]كان جيرار جينيت من السباقين في تبني قضية العتبات النصية في كتابيه (أطراس) و (عتبات)، والعتبات هي كل ما يحيط بالنص ويغلفه من عنوان وغلاف وإهداء وكلمة ناشر ومقدمة.

وبسبب الأهمية البالغة للعنوان قد يستخدم كاتب القصة القصيرة الحديثه عناوين خاصة تحمل نوعاً من الغموض والإيحاء، بهدف تحريض المتلقي لقراءة النصّ الأدبي ولكن القصة الجاهلية تخلو من هذه العناوين. فعناوين القصص منحصرة في إشارات واضحة إلى حوادث القصة، وهكذا يتداعي مستوى إيحائية القصة ولاينجح العنوان في انجذاب القارئ للاستمرار في القراءة. ولكن جدير بالذكر أنّ هذه النظرة، نظرة جديدة إلى عمل أدبي قديم ومن الأفضل أن نعتبر ظروف العصر حينما نقارن الأدب القديم مع الأدب العصر الراهن. ففي العصر الذي نعيش فيه، تطوّر العلم والتكنولوجيا وأصبحت وسائل الإعلام تحتلّ جزءاً كبيراً من حياة الإنسان، فعلى هذا يحتاج الأديب إلى جهد أكبر ليجذب القارئ نحو الأثر الأدبي في ضوضاء الأنواع المختلفة لوسائل الإعلام والإمكانيات المتعددة للتسلية، وهذا هو الجهد الذي لايبذله الكاتب الجاهلي لانصراف المخاطب نحو عمله الأدبي وهو في سمره في الليالي الطويلة، إذن لايحرج نفسه في انتخاب العناوين الرمزية أو الإيحائية للقصص، وربّما لايعرف الفكر الجاهلي مثل هذه العناوين ولا يقبله ذهن مخاطبه.

3-2.الحادثة أو الموضوع

أشرنا سابقاً أنّ أكثر موضوعات القصص الجاهلية تدور حول الحروب الداخلية للقبائل أو الحرب مع الفرس والإيرانيين. إذن موضوع القصة الجاهلية منحصر في الحرب ولانرى فيها التعدد الذي نراه في الأدب عامة والقصة القصيرة الحديثة خاصة. على سبيل المثال موضوع قصّة يوم الصفقة الحرب بين كسرى أنوشروان وأساورته مع بني تميم كما في القصة «بَلَغَ بَنِي تَمِيم ما صَنَعَ هَوذَةُ؛ فَسارُوا إِلَيهِم وَأَخَذوُا ما كانَ مَعَهُم، وَاقتَسَمُوه؛ وَقَتَلُوا عامَّة الأَساوِرَةَ وَسَلَبُوهُم، وَأَسَروُا هَوذَةَ بنِ عَلّي، فَاشتَرى هَوذَةُ نَفسَهُ بِثَلاثمِائة بَعِيرٍ، فَسَارُوا مَعَهُ إِلى هَجَرَ»، كما نرى في قصّة يوم عين أباغ نفس الموضوع: «سارَ المُنذرُ بنُ ماءِ السَماءِ مَلِكَ العَرَبِ بِالحِيرَةِ في مُعَدٍّ كُلُّها حَتّي نَزَلَ بِعَين أُباغ، فَأَرسَلَ إِلي الحارِثِ الأَعرَج بنِ جبَلَة مَلِكِ العَرَب بِالشامِ وَ قالَ لَه: إما أَن تُعطِيني الفِديةُ فَأَنصَرَفَ عَنكَ بِجُنُودِي، وَ إمّا أَن تَأذَنَ بِحَربٍ».(جاد المولى وزملاؤه، 1988م: 60)

وربّما يعود هذا الأمر إلى عدم وجود مسائل متعددة في حياة الناس آنذاك، فاليوم تحتلّ المسائل الإجتماعية والسياسية والحرية وحقوق المرأة وغير ذلك مجالاً واسعاً من الأدب ولكن هذه القضايا لم تكن مطروحة في العصر الجاهلي وكان اهتمام الناس على المعيشة البدوية والنزاع من أجل البقاء، ولاينشأ في هذه البيئة إلا الأدب الذي يلائمها ويلائم فكر الناس. هذا، ولم يكن الإجتماع والسياسة موجودين بشكلهما اليومي، إذ كانت الحياة حياة قبلية والنظام السياسي لم يكن في نطاق واسع كما نشاهد اليوم وكان منحصراً على علاقات القبيلة مع القبائل الأخرى التي كانت عادة علاقات غير سلمية. فليس من المنطقي أن يتوقّع من بيئة كهذه أن ينشأ منها أدب يشبه أدبنا في القرن الحادي والعشرين بموضوعاتها ومحتوياتها.

وتشابه الموضوعات وتكرارها طوال القصص المختلفة تشير إلى أن الحياة البدوية حياة تمضي على نمط واحد، كما يمكن أن يكون كمؤشر إلى بساطة الأفكار وعدم تعدّيها إلى الموضوعات الأخرى ليجعلها أساساً لبناء القصة.

3-3.الحبكة

عُرّفت الحبكة بترابط أحداث القصة بتسلسل منطقي (بلبل، 2003م: 45) وهي ذات أهمية بالغة من بين عناصر النصوص السردية ومنها القصة القصيرة، لأنّها «هي التي تقدّم الإطار الرئيسي للفعل وهي خطة تطور القصة، وخطة الفعل التي يمكن عن طريقها للشخصيات والعناصر الأخرى أن تكشف عن نفسها. إذن الحبكة هي تتابع الحدث تلو الحدث بحيث تخلق شعوراً بأنّ الأحداث تتبع في طبيعتها ما سبقها من أحداث وتؤدي إلى ما يليها من أحداث أيضاً، على أساس من التسلسل المنطقي». (النادي، 1987م: 60) للحبكة في النص الأدبي عدة أجزاء: العقدة الفنية، والصراع، والتعليق والمماطلة، والأزمة، وتفاقم الأزمة وحل العقدة. (كاظم زاده، 1390ش:14)

الصراع أحد أجزاء الحبكة وهو بمعنى تقابل قوتين أو شخصيتين الذي تتبنى عليه أحداث القصة. (مير صادقي، 1376ش: 72) ففي قصة "يوم الصفقة" سلب أموال قافلة كسرى وقتل أساورته على يد بني تميم يؤدي إلى إيجاد صراع بين قوتي كسري

والقبائل السارقة، وهذا الصراع يصنع العقدة الفنية للقصة، «فَسارُوا إِلَيهِم وَقَتَلُوا عامَّة الأَساوِرَةَ وَسَلَبُوهُم» (جاد المولى وزملاؤه، 1988م: 3) فيجعل المخاطب يفكّر في مصير تقابل هاتين القوتين. وفي قصة "يوم عين أباغ" الخطاب الذي يرسله منذر بن ماء السماء إلى الحارث وطلبه في التخيير بين إعطاء الفدية والحرب، يطرح الصراع بين هذين الشخصين وقوّتي تحت سيطرتهما، وتتشكل العقدة الفنية نتيجة هذا الصراع، «قالَ (المنذرُ) لَه: إما أَن تُعطِيني الفِديةُ فَأَنصَرَفَ عَنكَ بِجُنُودِي، وَإمّا أَن تَأذَنَ بِحَربٍ» (جاد المولى وزملاؤه، 1988م: 53). وفي كلتا القصتين، يشتدّ الصراع حتى يصل إلى نقطة الأزمة، ويؤدي إلى الحرب والاقتتال بين طرفي الصراع، وفي الحرب تتفاقم الأزمة أي تصل إلى ذروته، ثمّ تنحلّ الأزمة بصورة مترقّبة ودون مفاجأة تثير الدهشة والحيرة.

يجب أن ننتبه أنّ رغم وجود الصراع في القصص ودوره البارز فيها، إلا أنّ هذا الصراع ينحصر في الصراع الخارجي والجسماني للشخصيات، وتفقد القصص الصراع الداخلي الذي قد ينبو عن تمرّس الكاتب في توصيف الحالات النفسانية التغلغل داخل شخصياته، فعلى هذا نرى أنّ الصراع الخارجي جعل القصة أن تكون سطحية في أحداثها وتغيراتها.

القصة الجاهلية تتمتّع بالحبكة وتتصاعد أحداثها في نظام من الأمور التي ترتبط بعضها ببعض وتتشابك وتتصارع في داخلها ولكن هذا لايعني أن الحبكة والبنية في هذه القصص تنطبق على ما نراه اليوم في القصة القصيرة الحديثة. فمن نقاط ضعف القصة الجاهلية في حبكتها أنّ القصة تتقدّم في نظام من الأحداث البسيطة اليومية ولا توجد فيها تعقيدات تضيف إلى القصة ظلاً من الغموض والإبهام المُثيرين للمتلقّي ليتابع مسار الحوادث. ومن النقاط الأخرى التي تضعّف البنية الفنية للقصة الجاهلية، أنّ الأحداث تقع في ترتيب رتيب ومملّ ولا نشاهد فيها الاستراجاع الزمني الذي يدلّ على براعة الكاتب في استخدام الطرق المختلفة لإثارة القارئ. إضافة إلى هذا، حبكة القصة الجاهلية من نوع الحبكة البسيطة، لأنّها مبتنية على حكاية واحدة ولا نشاهد بجانب الحكاية الرئيسة، أحداث وحكايات هامشية، التي تضيف إلى التعقيد الفني للقصة بعض الشيء وتكون بمثابة عنصر تحريض وتشجيع بالنسبة للمتلقّي، على جانب كونها قوة فنية داخل بنية القصة.

ومن العناصر التي تكاد لا نشاهدها في القصص، عنصر التعليق والمماطلة، الذي يعتبر كجزء من الحبكة داخل القصة ومن سمات النضج الأدبي وبراعة الكاتب في إيجاد القوة المحرّضة لاستمرار قراءة النص الأدبي. وللبداية والنهاية أهمية خاصة في القصة القصيرة أيضاً. «البداية بالغة الأهمية لأنّها تحدّد منذ البدء الحركة في القصة، والنهاية التي تطلق عليها التنوير هي التي يكتمل بها الأثر الأدبي ويتشكّل المعني وتضيء القصة». (غريب أحمد، لاتا: 13) لاتبتدئ القصة الجاهلية ببداية خاصة أو إيحائية كما نرى في القصة الحديثة ويمكن القول أنها تبتدئ ببدايات ساكنة تقتل القصة في المهد (نفس المصدر: 13) بالنسبة للنهاية أيضاً نرى بأنها لاتنتهي بنهايات مثيرة ومفاجئة وتنتهي القصة بصورة مترقّبة عادة أو قل في تعقيد يسير وقليل.

3-4.الشخصية

الأشخاص المختلقة التي تلعب الدور في القصة والمسرحية و... تُدعى الشخصية. «ميرصادقي، 1376ش: 184) الشخصية في القصة هي المحور الذي تدور حوله القصة كلها ولا وجود لأيّة قصة دون الشخصية، لأنّه من خلال تصرفاتها يبرز الصراع ثم تتشكّل العقدة الفنية وتتقدم الأمور حتّى تنتهي القصة. للشخصية دور رئيسي في القصة الجاهلية كطبيعة كل قصّة. كل قصّة تتشكل من عدّة شخصيات، على سبيل المثال في قصة "يوم الصفقة" نرى عدّة شخصيات منها كسرى أنوشروان، النعمان بن المنذر، هوذة، المعكبر، خيبري بن العبادة، وفي قصّة "يوم عين أباغ" المنذر بن ماء السماء، الحارث، أباكرب وهو ابن المنذر، شمر بن عمرو الحنفي.

إذا نقسّم الشخصية إلى نوعي الثابتة والنامية، نستطيع القول بأنّ الأكثرية الساحقة من شخصيات القصة الجاهلية، ثابتة وجزء قليل منها شخصيات نامية تحدث لها على مدى القصة تغيرات ذهنية وفكرية. أما إذا نعتبر للشخصية النامية معيار التأثير على الآخرين والتأثر بهم، علاوة على التحولات الفكرية والعقائدية، يمكن القول بأنّ بعضها تحمل ملامح من الشخصيات النامية، لأنّها لا تتنحي عن التأثير والتأثر. على سبيل المثال، هوذة في قصة "يوم الصفقة" شخصية قريبة بالنامية لأنّه يؤثر على كسرى ويقترح

اقتراحاً يحدث تغييراً محورياً في أحداث القصة، وفي قصّة "يوم عين أباغ" شمر بن عمرو الحنفي شخصية قريبة بالنامية لأنّه ذهب إلى الحارث وقصّ له حقيقة الحكاية، وثأر الحارث وقتل المنذر وأحرق الحيرة.

هناك أبعاد متعددة للشخصية القصصية منها الأبعاد الجسمية والنفسية والفكرية والإجتماعية. الكاتب الجاهلي لايعرّف الشخصيات كما يناسب، والسبب الرئيسي أنّه لا يوقف مسار سرد الحوادث عادة حتى يصف الشخصيات، ويصبّ جلّ اهتمامه على نقل الحوادث، فعلى هذا تظلّ الشخصية في ضباب من الإبهام والغموض، فلايمكن للمتلقّي أن يتصوّر الشخصية ويقام حائل بين المتلقي والشخصيات. فقد يشير إلى الحالات الفكرية والنفسية في الشخصيات بصورة غير مباشرة من خلال الأقوال والأفعال كما نرى في قصة يوم الصفقة فحينما يسأل كسرى عن هوذة أيّ أولاده أحب إليه، يردّ قائلاً: غائبهم حتى يتقدّم وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ. (جاد المولى وزملاؤه، 1988م: 3) فمن خلال الحوار الذي يجريه كسرى مع هوذة وردّ هوذة على سوال كسرى في هذا الحوار يمكن أن نستنبط ذكاء هوذة بواسطة بيانه جملاً قصيرة ذات معان عميقة – بالنسبة إلى ذلك الزمن –. وفي قصة عين أباغ، إرسال المنذر أحد شجعانه بدل ولده، للقتال مع ولد الحارث (المصدر نفسه: 51) يشير إلى خدعة المنذر ومكره وعدم التزامه بالصدق في الظروف الحرجة.

إذن نشاهد بأنّ هناك ملامح ضئيلة من إشارات الكتّاب إلى الخصائص النفسية للشخصيات، ولانرى ظواهر كحديث النفس أو الصراعات النفسية المعقّدة أو الأزمات النفسية عند الشخصيات، كما أنّ الكاتب لايعرّف أبعاد شخصيات الإجتماعية في أغلب الأوقات. فالكاتب يكتفي عادة بظاهر الشخصيات ولايدخل في عالم الفكر والخيال، هذا ومن جهة أخرى بما أنّ أكثر هواجس الناس كانت مادية في ذلك العصر، ولم يكن الإنسان يواجه أزمات فكرية وفلسفية كما نرى الأيام الراهنة، من الطبيعي أن لايتطرّق الكاتب إلى ما لا وجود له، أو يوجد ولكن ليس له دور هام في الحياة.

3-5.العرض القصصي

العرض القصصي في القصة الجاهلية عادة لايتعدّى نوعاً واحداً، وهو طريقة السرد المباشر. في هذه الطريقة، يبادر الراوي برواية القصة بأسره ويشرف على جميع ما يجري فيها وينقل الحوار الذي يجري بين الشخصيات. يمكن القول بأن هذه الطريقة أبسط وأسهل طريقة لرواية القصة ومن الطبيعي أن تكون طريقة الإنسان الجاهلي في ذروة البساطة.

قد نشاهد أحياناً في القصة الجاهلية أنّ الراوي ينسب رواية القصة إلى أشخاص أخرى، كما نرى في قصة يوم الصفقة بأنّ الراوي يبدأها بعبارة "قال ابن كلبي"، وهكذا يحاول أن يقوّي سند القصة ويؤكّد على صدقها. وممّا يمكن أن يؤخذ على الراوي الجاهلي، أنّه لايحدث تغييرات فنية في طريقة روايتها، فعلى سبيل المثال لايدخل فكر شخصياتها ولاينقل القصة من وجهة نظرهم وهو المتكلم الوحدة، إلا في الحوار بين الشخصيات الذي ينقل الحوار أيضاً بصورة مباشرة، على سبيل المثال في قصة «يوم الصفقة» نشاهد الحوار بين كسرى وهوذة «قال كسرى: الذي أَخرَجَ مِنكَ هذا العَقلَ حَمَلَكَ عَلى أَن طَلَبتَ مِنّي الوَسِيلَةَ. ثُمَّ قالَ: يا هَوذَةُ؛ رَأَيتَ هؤُلاءِ الذِينَ قَتَلُوا أَساوِرَتِي، وَأَخَذُوا مالِي؟ أَبَينَكَ وَبَينَهُم صُلح؟ قالَ هَوذَةُ: أَيها المِلِكُ؛ بَينِي وَبَينَهُم حَسَاءُ[10] المَوت، وَهُم قَتَلوا أَبِي» (أنظر جادالمولى وزملاؤه، 1988م: 2) وفي قصّة "يوم عين أباغ" «فَلمّا رَآهُ رَجَعَ إلى أَبِيهِ وَقالَ: إنَّ هذا لَيسَ بِابنِ المُنذَر، إنَّما هُوَ عَبدُهُ، أو بَعضَ شَجعانَ أَصحابِهِ. فَقالَ: يا بُنَي، أَجَزِعتَ مِنَ المَوتِ؟ ما كانَ الشَيخُ لِيغدِر!»(نفس المصدر: 61) وفي الحقيقة ليس للراوي دور في القصة إلّا نقل الحوار المباشر إلى المخاطب، دون محاولة استخدام الجماليات الفنية فيه.

3-6. البيئة

البيئة يعني الزمان والمكان الذين يحتويان البناء القصصي، ولكلّ منهما دور هام كسائر العناصر القصصية، لأن الصراع في العمل الفني بين الشخصيات لا يحدث في الفراغ، بل يحفه زمان ومكان محددين. «يُعد المكان العمود الفقري في البناء القصصي

[10].حساء الموت: تجرع الموت

وهو الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض، كما يعد الأرضية التي تتحرك عليها الأحداث. فيتجاوز قيمته كإطار جغرافي ويصبح وسيلة لرسم الشخصيات وحالاتها النفسية. وبذلك يعدّ عنصراً بنائياً ودلالياً في القصص، مساهماً في تحديد طباع الشخصيات وأمزجتهم». (الصمادي، 1995م: 172) بالرغم من الدور الكبير للمكان في البناء القصصي، إلّا أنّ الكاتب الجاهلي لايبدي اهتماماً خاصاً به ولاينتبه إلى القدرات الكامنة للمكان في ايراد المعاني والمفاهيم بصورة رمزية وإيحائية، فيغفل عن وصفه في أكثر الأحيان ولانرى معلومات وأوصاف خاصة عنه إلّا ما يدخله الكاتب من أسماء الأمكنة، ولايصف الكاتب عادة الأمكنة المذكورة لتقريب البيئة إلى ذهن المخاطب ولايعطي معلومات إضافية عنها، على سبيل المثال في قصة "يوم صفقة" يقول الكاتب: «بعث كسرى أنوشروان إلى عامله باليمن بعير تحمل نبعاً...كانت عير كسرى تبذرق من المدائن حتى....والنعمان يبذرقها بخفراء من بني ربيعه...حتى تدفع باليمامه. خرج هوذة والأساورة والعير معهم من هجر حتى إذا كانوا بنطاع... احبس عنهم الميرة..حتّى نزلوا المشقّر من أرض بحرين» وفي قصة "يوم عين أباغ": «سار المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة... حتى نزل بعين أباغ،.. فأرسل إلى الحارث بالشام..» فلانرى من المكان إلا ذكر الأسماء فقط. ولكن بصورة عامة لايتجاوز المكان في القصص الجاهلية، بيئة الصحاري والفيافي، ولا نشاهد قدرة خيال قوية للكاتب حتى يأتي بالأماكن الخيالية في قصصه ويجعلها إطاراً لقصته.

وللزمان أيضاً دور هام كدور المكان، وبإمكانه حمل الدلالات الرمزية، ولكن الكاتب الجاهلي لايكترث بها كما لايكترث بالمكان، وجلّ اهتمامه ينحصر في التطرّق إلى تقديم الحكاية في مسارها. فيمكن القول بأنّ أحداث القصة تحدث في العصر الجاهلي فقط ولايمكن استخراج أيّ دلالات إضافية من الزمان في هذه القصة.

النتائج

1. القصة من أقدم الفنون التي رافقت الإنسان طوال الأجيال المتتابعة، فمنذ أقدم العصور كانت وسيلة لنقل الحكايات والمفاخر والملاحم للأجيال القادمة وأداة للتسلية في مجالس السمر واللهو. والعرب الجاهلي لم يكن مستثنياً من هذا الأمر، فعلى جانب الشعر الذي كان في مرحلة ازدهاره من الجانب الفني، كان له فن القصة الذي تعتبر الحرب موضوعه الرئيسي.

2. الحكايات الجاهلية تنقسم حسب البناء الفني إلى قسمين: قسم منها مجرّد إخبار لا يمكن اعتبارها قصصاً وقسم منها يعتبره قصة وتشبه القصة القصيرة من حيث الحجم ومن حيث البناء الفني. فبعد دراسة العناصر الفنية لهذا القسم، شاهدنا بأنّه من الممكن أن نعتبره بداية للقصة القصيرة، إذ أغلبية عناصر القصة القصيرة كالحادثة، والعرض القصصي، والحبكة، والشخصية، والمكان، والزمان توجد في القصة الجاهلية و لوتكون شاحبة الألوان وفي صورتها البدائية البسيطة.

3. من أبرز مشاكل القصة الجاهلية، أنّها سريعة جداً في السرد القصصي وتقديم الأحداث وجلّ اهتمامها تنحصر في عنصر الحدث أم الموضوع ولاتكترث بالعناصر الأخرى كالشخصية والحبكة والبيئة كما يليق. فعلى هذا الأساس تسير القصة بسرعة والمخاطب لايعرف الشخصيات معرفة عميقة والحبكة تبقى في صورتها البسيطة غير ناضجة، بدون تعقيدات تحمل دلالات إيحائية وتثير الشعور إثارة قوية.

4. كلّ فنّ يتكامل وينضج على مرّ العصور، والقصة الجاهلية كانت بمثابة مرحلة طفولة القصة الحديثة. هذا، ومن جانب آخر كانت الثقافة والعقلية والفكر الجاهلي في مستوى متدنٍ قياساً بالعصر الراهن وكانت الظروف الإجتماعية والمعيشية تتطلّب وجود هذا النوع من الأدب، لأنّ الفكر الجاهلي كان لايعترف بالآخر بسهولة، وعلى هذا الأساس، نشاهد بأن الأدب الجاهلي أدب غنائي يهتمّ الكاتب فيه بالذات دون الآخر، وبما أنّ القصة الناضجة المتطورة تستلزم خلق الشخصيات والاعتراف بالآخر والانتقال من "أنا" إلى "أنت" و"هو"، كانت تعاني من الضعف قياساً بالشعر الذي كان في مرحلة متطورة من النضج والتكامل بسبب كونه أدباً غنائياً.

المصادر و المراجع

أحمد مكي، طاهر، الأدب المقارن، دار المعارف: قاهرة. 1987م، ص562.
الأطرش، محمود ابراهيم، إتجاهات القصّة في سورية بعد الحرب العالمية الثانية، دارالسؤال: دمشق، 1982م، ص154-155.
بدر يوسف، شوقي، سيميوطيقا العنوان في روايات نجيب محفوظ، مجلة العرب الأسبوعي، 2010م، ص24.
بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دارالمعارف مصر، لاتا، ص128.
بطرس، أنطونيوس، الأدب؛ تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب: لبنان. 2005م، ص158.
بلاشير، ريجيس، تاريخ الأدب العربي، دارالفكر: دمشق. 1998م، ص 886.
بلبل، فرحان، النص المسرحي؛ الكلمة والفعل، اتحاد الكتاب العرب: دمشق، 2003م، 45.
تيمور، محمود، الأدب الهادف، مكتبة الآداب للطباعة و النشر و التوزيع. 1998م، ص34.
جاد المولى و زملاؤه، أحمد، أيام العرب، دار الجيل: بيروت. 1988م، ص2-3-53-60.
الجرهمي، عبيد بن شرية، أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، حيدرآباد 1374ش، ص98.
حاجي خليفه،كشف الظنون، دار الطباعة للكتاب، لاتا، ص123.
خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دارالجيل: بيروت، 1992م، ص107.
رشدي، رشاد، فن القصة القصيرة، دارالعودة: بيروت.1984م، ص15.
زغلول سلام، محمّد، دراسات في القصة العربية الحديثة؛ أصولها، اتجاهاتها، أعلامها، منشاة المعارف بالاسكندرية، لاتا، ص58- 63.
ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف: مصر. 1119م، ص399-400.
عبدالحليم محمود، علي، القصة العربية في العصر الجاهلي، دارالمعارف: قاهرة. 1975م، ص11.
الصمادي، امتنان، زكريا تامر والقصة القصيرة، الموسسة العربية للدراسات: عمان، 1995م، ص:172.
غريب أحمد، حسن، التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة، لاتا، 13.
غنيمي هلال، محمد، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو: القاهرة. 1962م، ص68.
الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، توس: ايران. 1377ش، ص204
فريحات، عادل، النقد التطبيقي للقصة القصيرة في سورية، اتحاد الكتاب العرب: دمشق، 2002م، ص14.
القط، عبدالقادر، قضايا ومواقف، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1971م، ص115.
قطب، سيد، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دارالشروق: مصر، 2003م، ص94.
الموافي، ناصر عبدالرزّاق، القصّة العربية عصر الإبداع، دار النشر للجامعات: مصر. 1997م، ص27.
النادي، العادل، فن كتابة الدراما، موسسات عبدالكريم بن عبدالله: تونس. 1987م، ص60.

المصادر و المراجع الفارسية

ترجاني زاده، أحمد، تاريخ ادبيات عرب از دورۀ جاهليت تا عصر حاضر، دانشگاه آزاد اسلامي، تابش تبريز. 1370ش، ص59.
شميسا، سيروس، انواع ادبي، 1381ش، ص177-182.
كاظم زاده، نسرين، بررسي عناصر داستاني در داستانک هاي محمود شقير، كارشناسي ارشد دانشگاه تربيت مدرس، ايران ،1390ش، ص14.
ميرصادقي، جمال، ادبيات داستان؛ قصه، رمانس، داستان كوتاه، رمان، چاپخانه بهمن: تهران، 1376ش، ص72

المجلات

حوار مع نجيب محفوظ، مجلة الفصول، المجلد الثاني، العدد الرابع، سبتمبر 1982، ص320

المواقع الالكترونية

www.noormags.com

http://www.almeshkat.net/books